عبد المنعم علي عيسى

أستانا الـ16: انزياح تركي جديد نحو موسكو

من الثابت أن الجولات الست الأخيرة، أي من الجولة العاشرة التي انعقدت شهر تموز ٢٠١٨ حتى الجولة الخامسة عشرة التي انعقدت شهر شباط من العام الماضي، من مسار أستانا كانت أشبه بممارسة فعل المراوحة في المكان، الأمر الذي كانت تفرضه معطيات عدة مثل سخونة الميدان، وكذا انزياحات المواقف الإقليمية والدولية التي كانت تتلون تبعاً لتغير المصالح ومعها تغير الأهداف، فالفترة الواقعة بين هذين التاريخين الأخيرين كانت قد شهدت عودة الجنوب السوري، في معظمه، ومعه غوطة دمشق إلى السيادة السورية، ناهيك عن حالة تحفز سوري تكررت لثلاث مرات، وهي كانت ترمي إلى تكرار الفعل السابق في إدلب، ثم ناهيك عن التوتر الحاصل في مناطق شرق الفرات الذي شهد في غضون المرحلة سابقة الذكر توسعة تركية عبر عملية «نبع السلام» التي أوقعت المناطق الممتدة ما بين تل أبيض بريف الرقة وبين رأس العين بريف الحسكة تحت سيطرة الفصائل الموالية لأنقرة جنباً إلى جنب على مناطق «درع الفرات» و«غصن الزيتون»، ثم جاءت أيضاً حادثة الإعلان عن «الانتصار» النهائي على «تنظيم الدولة الإسلامية» في الباغوز بريف دير الزور شهر آذار من عام ٢٠١٩.

هذه السخونة، التي تزامنت مع تضارب كبير في الرؤى والمصالح، كانت قد فرضت نوعا من المراوحة يهدف إلى تثبيت العمل باتفاقية «مناطق خفض التصعيد» الموقعة بين أطراف أستانا الثلاث شهر أيار من عام ٢٠١٧، وكذا إلى حماية وقف إطلاق النار الذي بدا هشاً في العديد من المناطق السورية، الأمران اللذان يمكن لهما أن يهيئا الأجواء لمواصلة العمل في الملف السياسي الذي بدا شديد التعقيد قياساً إلى التشابكات الحاصلة، والمتفرعة، عن الأزمة السورية التي يصح توصيفها على أنها الأعقد مما شهده هذا القرن حتى الآن.

بشكل ما يمكن القول إن جولة أستانا السادسة عشرة التي انعقدت في العاصمة الكازاخستانية يومي الأربعاء والخميس الماضيين كانت رداً، وفق ما يوحي به توقيتها الذي ضبط على ساعة موسكو، على مؤتمر روما «الفضفاض» الذي دعت إليه واشنطن في العاصمة الإيطالية في ٢٨ من حزيران الماضي، فقد كان من الواضح أن تلك الدعوة الأخيرة التي توسعت كما لم تكن عليه في كل المرات السابقة كانت نوعاً من التحشيد الضاغط على «الأيدي» الروسية لثنيها عن أن ترتفع معلنة عدم الموافقة على التمديد للقرار ٢٥٣٢ الذي سيجري التصويت عليه في مجلس الأمن يوم الأحد ١١ تموز، وعليه فقد ذهبت موسكو إلى القيام بتحشيد مضاد لتثبيت مواقع كانت ترى أنها اهتزت مؤخراً بفعل التلاقيات الحاصلة ما بين أنقرة وواشنطن، مما يمكن لحظه إبان زيارة المندوبة الدائمة الأميركية في الأمم المتحدة ليندا غرينفلد للحدود السورية التركية مطلع شهر حزيران المنصرم، لكن ما تلا ذلك الحدث من سلوكيات تركية كان يوحي بأن تلك التلاقيات لم تكن تتعدى ممارسة لـ«الزئبقية» التي اشتهرت بها سياسات الرئيس التركي على مدى يزيد على عقد ونصف العقد مع مدة إمساكه بالسلطة في أنقره بشكل مطلق.

ما يؤكد الرؤيا السابقة مؤشران اثنان كانا بتأثير تركي أحدهما مباشر، والآخر تمتد عصونه لتطول «المنابع» التركية، ففي أواخر الشهر الماضي قامت سلطات إقليم الشمال العراقي بإغلاق معبر «فيشخابور» المقابل لمعبر «سيمالكا» من الجهة السورية على الحدود مع العراق، والفعل الذي كان من المؤكد أنه جاء بضغط تركي على سلطات الإقليم المتحالف مع أنقرة، يمكن أن يؤدي إذا ما طال أمده إلى تداعيات سلبية على استقرار العاصمة الكازاخستانية نوع